فلم أر ضرغامين أصدق منكما

جاءت صيغة التثنية لتوحد بينهما. وهذه مشاكلة تامّة لا تضيف شيئاً إلى البلاغة التقليدية التي تشبّه الشجاع بالأسد، وتقف عند ذلك، ولقد تجاوز المتنبي هذا التقليد البلاغي، وأتى بدلالة (الشبيه المختلف).

وكما أن الأسد قد أعطى صفة من صفاته للرجل فتشابه معه فيها، ثم اختلف الاثنان في صفة أخرى غيرها، فإن الأسد أيضاً يأخذ صفات من البشر، فينتقي منها جوانب ويترك أخر.

وها هو الليث يشبه الرهبان في وحدته وتوحده، ولكنه يختلف عنهم في جهله التحريم والتحليلا (البيت رقم 6).

وهذه مفارقة تفضي بالنص إلى مفارقة أخرى أكثر إمعاناً في لعبة (الشبيه المختلف)، وذلك في قوله:

يطأ الثرى مترفقاً من تيهه
فكأنه آس يجسّ عليلا

هذا المترفق في وطأته لا عن تواضع ورهبانية ـ كما يوحي البيت السابق لهذا البيت ـ ولكنه يترفق في وطأته من شدة التيه والغطرسة، حتى لكأن جسده أشرف من أن يلامس الثرى (ويا ويحه من ليث تكبر على الثرى فما كان من الممدوح إلا أن عفره بهذا الثرى نفسه).

ويطير المتنبي في الشطر الثاني إلى أعالي فضاءات اللعبة البلاغية، حيث يشبه كبرياء هذه الوطأة التياهة بيد الطبيب الرحيم وهو يجسّ المريض هوناً وبوداعة وشفقة.